

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليفه وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه نبينا وأمامنا وسيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه جملة من الدروس، والفتاوى في الحج، لفضيلة الشيخ العلامة/ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - وفقه الله - ألقاها وأجاب عنها في مخيم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في منى.

قمت بتسجيها من عام ١٤٢٢هـ إلى عام ١٤٢٧هـ، ويعد تفريغها من الأشرطة، عرضتها على فضيلته فقام بمراجعتها وإصلاحها بما يناسب أن تخرج في كتاب.

ولا شك أن من ضمن الدروس والفتاوى ما يتعلق بغير الحج مثل العقيدة والعبادات والمعاملات وغيرها، فرأى فضيلة الشيخ صالح أن تفرد الدروس والفتاوى المتعلقة بالحج في كتاب مستقل، وما سواها يطبع لاحقاً إن شاء الله - تعالى - .

وقد بلغت دروس الحج: ثلاثين درساً، والفتاوى تسع مئة وثمانية وتسعين فتوى.

وقمت بترتيب الدروس وقدمتها في أول الكتاب. ثم رتب الفتاوى حسب أبواب الحج. ووضعت عناوين للدروس والفتاوى.

وخرّجت الأحاديث تخريجاً مختصراً؛ حتى لا أثقل حواشي الكتاب، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وما كان في السنن الأربع فكذلك، وما خرج عنها فيكون التخريج بقدر الحاجة.

أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجزي فضيلة الشيخ صالح خير الجزاء، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعل ما يقوم به من أعمال جليلة في ميزان أعماله الصالحة يوم القيامة. وأن ينفع بهذا المجموع جامعه وقارئه وجميع إخواني المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

إبراهيم بن علي بن عبدالله الحمدان

الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٩هـ

ص . ب : ٨٨٠٥٩

الرياض : ١١٦٦٢

• • •



دروس في الحج

١- درس في بيان عقيدة الحاج في ضوء الكتاب والسنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
 نبيه والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

لا شك أن العقيدة هي الأساس وهي ما يعتقد به الإنسان بقلبه ويتوجه به إلى
 هذه هي العقيدة، تسمى «العقيدة» وتسمى «التوحيد» وتسمى «الإيمان» وتسمى
 «حج»، كلها أسماء لمسمى واحد وهو: توجه الإنسان إلى ربه - عز وجل -
 بجميع أعماله، كما قال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
 لِلدِّينِ الْقَدِيمِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢١٩].

هذه هي العقيدة وهي أساس لجميع الأعمال من حج وغيره، وإنما ذكر الحج هنا
 لسهولة التناول: أننا في هذه الأيام نؤدي الحج فناسب أن ينبه على العقيدة من أجل
 الحج يعتقد عقيدته من الخلل والنقص والبطلان فيجعلها عقيدة صحيحة تستمر
 طوال حياته لا في الحج فقط، إنما في طول حياته، كما أمر الله - جل وعلا -
 نبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢١٩] قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أُتْبَعِي
 شَرِّ دِينٍ كُلِّ مَثَلٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
 وَتُكْرَمُ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْفِقُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٤].

لما هو المراد بالعقيدة: أنها تشمل جميع الأعمال المشروعة التي يتوجه بها
 إلى ربه - عز وجل - بأن تكون خالصة لوجهه الله - تعالى - حتى تكون
 صحيحة وتكون أساساً صحيحاً يبنى عليه جميع أعمال المسلم من حج
 وغيرها إذا اختلت العقيدة اختلت الأعمال إما بالبطلان وإما بالنقص الظاهر

١ - درس في بيان عقيدة الحاج في ضوء الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

لا شك أن العقيدة هي الأساس وهي ما يعتقد به الإنسان بقلبه ويتوجه به إلى ربه، هذه هي العقيدة، تسمى «العقيدة» وتسمى «التوحيد» وتسمى «الإيمان» وتسمى «السنة»، كلها أسماء لمسمى واحد وهو: توجه الإنسان إلى ربه - عز وجل - بجميع أعماله، كما قال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

هذه هي العقيدة وهي أساس لجميع الأعمال من حج وغيره، وإنما ذكر الحج هنا من أجل المناسبة: أننا في هذه الأيام نؤدي الحج فناسب أن ينبه على العقيدة من أجل أن الحاج يتفقد عقيدته من الخلل والنقص والبطلان فيجعلها عقيدة صحيحة تستمر معه طول حياته لا في الحج فقط، إنما في طول حياته، كما أمر الله - جل وعلا - نبينا محمد ﷺ في قوله: ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١] لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [٢] قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [٣] [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٤].

فهذا هو المراد بالعقيدة: أنها تشمل جميع الأعمال المشروعة التي يتوجه بها العبد إلى ربه - عز وجل - بأن تكون خالصة لوجه الله - تعالى - حتى تكون عقيدة صحيحة وتكون أساساً صحيحاً يبنى عليه جميع أعمال المسلم من حج وغيره، فإنها إذا اختلت العقيدة اختلت الأعمال إما بالبطلان وإما بالنقص الظاهر

حسب نوعية الخلل الذي يقع في العقيدة، ولذلك اهتم بها الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فكان أول ما يبدؤون به دعوتهم إصلاح العقيدة، لأنها هي الأساس، ثم يطالبون الأمم بعد ذلك بالأعمال والعبادات، فإذا صحت العقيدة طالبوا الأمم ببقية الشرائع.

والحج بالذات، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].
فدللت الآية على أن الحج والعمرة لا يصحان إلا بشرطين كسائر الأعمال:

الشرط الأول: الإتمام. ﴿وَأَتِمُّوا﴾، والإتمام معناه: الإتيان بالعبادة على الوجه المشروع خالية من البدع والمحدثات والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، هذا هو الإتمام، والمتابعة تكون للرسول ﷺ في أداء العبادة بأن يعبد الله على وفق ما جاء به الرسول ﷺ لا يحدث شيئاً من عنده أو يقلد من أحدث شيئاً في العبادة لم يأت به رسول الله ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١)، وقال ﷺ: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسکوا بها وعضوا علیها بالنواجذ، وإياکم ومحدثات الأمور، فإن کل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة»^(٢)، وفي رواية: «وکل ضلالة فی النار»^(٣)، فهذا معنى: ﴿وَأَتِمُّوا﴾.

وكذلك من معنى الإتمام أيضاً: الإتقان، إتقان العبادة بأن لا يقع فيها خلل بأن لا يترك شرطاً من شروطها أو ركناً من أركانها أو واجباً من واجباتها، بل يتم العبادة بأركانها وشروطها وواجباتها ويحسنها بالسنن والنوافل المكملة، فإن تكميل العبادة على نوعين: تكميل واجب، وتكميل مستحب.

فأداء الواجبات وتجنب المحرمات هذا تكميل واجب، والإتيان بالمستحبات

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨، ١٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقم (١٧١٤٤)، والطبراني في الكبير (١٨/٢٤٥، ٢٤٦) برقم (٦١٧، ٦١٨)، والحاكم (١/٩٦)، والبيهقي (١٠/١١٤).

(٣) أخرجه النسائي (٣/١٨٨) برقم (١٥٧٨).

والسنن وترك المكروهات من الإكمال المستحب، وهذا كله يدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُوا﴾.

والحج: هو قصد البيت العتيق لأداء العبادة حوله من طواف وسعي ووقوف بالمشاعر، هذا هو الحج: القصد، وهو قصد البيت في وقت معين على صفة معينة مخصوصة.

ثم قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ﴾، هذا هو الشرط الثاني لقبول العبادة، الشرط الأول: المتابعة للرسول ﷺ فيها وخلوها من البدع والمحدثات، والشرط الثاني: أن تكون لله، يعني خالصة لوجه الله سالمة من الشرك الأكبر والأصغر والرياء والسمعة وطلب الدنيا وطلب الثناء والمدح وغير ذلك من المقاصد التي هي لغير الله - تعالى -، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، أما ما وقع فيه شرك فإن الله لا يقبله، كما جاء في الحديث القدسي: «إن الله - تعالى - يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(١). وفي رواية: «فهو للذي أشرك وأنا منه بريء»^(٢).

فلا يقبل العمل الذي فيه شرك بل يرده على صاحبه، ولهذا قال: ﴿لِلَّهِ﴾، بمعنى أن تخلص النية والقصد والتوجه لله عز وجل بحجك وعمرتك، فلا تحج من أجل الرياء والسمعة، لا تحج من أجل طلب الدنيا ولا من أجل المدح والثناء، إنما تحج وتعتمر لله - عز وجل - قاصداً وجهه مخلصاً العمل له، وهذا هو الحج المقبول وهو ما اجتمع فيه هذان الشرطان: المتابعة للرسول ﷺ، والإخلاص لله - عز وجل - . ولذلك حج النبي ﷺ بأصحابه حجة الوداع وبين لهم المناسك بقوله وفعله، وقال: «خذوا عني مناسككم»^(٣)، أي: تعلموا مني كيف تحجون وكيف تعتمرون،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٠٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

وهذا هو المطلوب في كل عبادة.

ولهذا قال سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] ومعنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص نيته لله وأخلص عمله لله من الشرك، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: متبع للرسول ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والآيات في هذا كثيرة تأمر بالإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ، وهذا من معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أن تخلص العمل لله ولا تعمل لغيره، ومن معنى شهادة أن محمداً رسول الله: أن تتبعه وتطيعه وتسير على نهجه ﷺ وتتجنب البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والمسلم يتعلم هذه الأمور في حجه وعمرته تعلماً فعلياً وممارسة عملية، وكل أعمال الحج مبنية على التوحيد من أولها إلى آخرها.

فأولاً: حينما يليب الإنسان إذا أحرم فإنه يليب، ماذا يقول؟ يقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». هذا إعلان للتوحيد وتبرؤ من الشرك في أول ما تنطق به من أعمال الحج، وهو التلبية عند الإحرام: «لبيك لا شريك لك لبيك» لتذكر هذا في كل عمل تعمله من مناسك الحج والعمرة: أن الله لا شريك له، فلا تدعو غير الله، ولا تستغيث بالأموات ولا بالأضرحة ولا بالأولياء والصالحين، وإنما تخلص عملك لله - عز وجل - فلا تدعو إلا الله، ولا تذبح إلا لله، ولا تنذر إلا لله، ولا تؤدي أي عبادة من العبادات إلا لله وحده - سبحانه وتعالى -، فانت أعلنت عند الإحرام أن الله لا شريك له، لكن بعض الناس يقول هذا بلسانه ثم لا يعمل به؟! بل يذهب إلى غير الله - عز وجل - يستغيث بالأموات! ويستغيث بالأولياء والصالحين! ومن ذلك أن يظن أن الكعبة تنفع وتضر فيذهب يتمسح بها ويذهب يمرغ خده عليها!

وهذا غير مشروع؛ لأن الكعبة إنما هي مكان للعبادة، وأما المعبود فهو الله - سبحانه وتعالى -، فالله جعل هذا البيت لأجل أن يُعبد حوله ويخلص العمل له - سبحانه وتعالى -، فالعبادة لله . والبيت مكان العبادة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

فهذا البيت إنما هو مكان للعبادة، فلا يتوجه إليه بالعبادة ويظن أن ينفع ويضر ويمنح البركة والمغفرة! إلى آخر ما قد يقع فيه بعض الجهال، فالبيت إنما هو مكان للعبادة، وأما المعبود المتوجه إليه فهو الله - سبحانه وتعالى -.

فهذه التلبية التي ترددها ونرفع أصواتنا بها هي إعلان للتوحيد وبراءة من الشرك، فتذكر أيها الحاج معنى هذه التلبية ولا تخالفها بانحراف عن معناها إلى ما ترى من عمل بعض الناس تقلدهم وتتابعهم من غير بصيرة، هذا شيء.

والشيء الثاني: أن الناس حينما يقفون بعرفة جميعاً باختلاف أجناسهم وألوانهم وأصواتهم ولغاتهم كلهم يتوجهون إلى رب واحد إلى الله - سبحانه وتعالى -، لا يتوجهون إلى وثن ولا إلى قبر ولا إلى ولي، وإنما يتوجهون جميعاً ويجأرون بالدعاء لله - عز وجل -، هذا درس عظيم للمسلمين في التوحيد من أجل أن ينصرفوا إلى رب واحد ويلهجون بتلبية واحدة ويتضرعون إلى الله - جل وعلا - وتغيب عنهم كل المعبودات من دون الله، هذا تعليم للتوحيد وإصلاح للعقيدة ودرس مفيد للمسلم يتذكره في جميع حياته.

كذلك في دعاء عرفة قال ﷺ: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(١)، هذا خير ما قاله النبي ﷺ وسماه دعاء عرفة، لأن الدعاء على نوعين:

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٨٥).

النوع الأول: دعاء عبادة، قول: «لا إله إلا الله» هذا دعاء عبادة والثناء على الله - عز وجل - هذا كله دعاء عبادة.

النوع الثاني: دعاء المسألة بأن تسأل الله أن يغفر لك، وأن يرحمك، وأن يرزقك، وأن يهديك، وأن يشبك، وأن يغفر لوالديك، وأن يغفر لأولادك، وأن يغفر لإخوانك. هذا دعاء مسألة، تسأل الله - عز وجل - .

فدعاء العبادة على الله، ودعاء المسألة طلب من الله - عز وجل - .
فمثلاً: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ هذا دعاء عبادة ﴿وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾ هذا دعاء مسألة، في آية واحدة دعاء عبادة ودعاء مسألة.

فأنت حينما تقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فهذا خير الدعاء كما قال ﷺ، وما معنى «لا إله إلا الله»، وما معنى «لا شريك له»؟ كثير من الناس يقولها ولا يعرف معناها مع الأسف ويظنها لفظاً يردد بدون أن يستحضر معناها، ثم لو عرف معناها لا يعمل بمقتضاها!

ف «لا إله إلا الله» لا بد فيها من النطق باللسان، ولا بد من معرفة معناها، ولا بد من العمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً.

لأن «لا إله إلا الله» نفى وإثبات، هي كلمة التوحيد وتتكون من ركنين: ركن النفي «لا إله» وركن الإثبات «إلا الله».

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله - عز وجل - .

فإذا قلت: «لا إله» فقد خلعت جميع المعبودات وأبطلتها، وإذا قلت: «إلا الله» فقد أثبتت العبادة لله وحده لا شريك له، فدل هذا على أن عبادة الله هي الحق وأن عبادة غيره باطلة لأنك نفيتها.

فقولك: «لا إله» هذا يدل على بطلان العبودية لغير الله واعتراف منك بذلك.

«لا إله إلا الله»: لا معبود بحق إلا الله، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ ﴿١٠٠﴾ [الحج: ٦٢]. هذا معناها لا بد أن تعرفه.

ثانياً: لا بد من العمل بمقتضاها، فإذا اعترفت أن العبادة لله وأن عبادة غير الله باطلة فيجب عليك أن تعمل بهذا، بأن تفرد الله بالعبادة وتترك ما سواه، فإن العبادة لا تصلح إلا لله - سبحانه وتعالى -، من دعاء واستغاثة وذبح ونذر وصلاة وصيام وحج وعمرة وغير ذلك، لا تصلح العبادة إلا لله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والآيات في هذا كثيرة وهي تبين مضمون «لا إله إلا الله» ومقتضاها، فإياك إياك أن تقتصر على التلفظ بها دون معرفة لمعناها ودون عمل بمقتضاها، فإنها لا تنفعك حيثئذ، إنما تنفع من قالها عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها ظاهراً وباطناً، هذا هو الذي تنفعه «لا إله إلا الله».

أما من قال: «لا إله إلا الله» ثم قال: يا فلان الميت! يدعو ميتاً أو غائباً أو إنساً أو جنّاً، يدعو غير الله فإنه قد أفسد وناقض «لا إله إلا الله»، يقولها بلسانه ثم ينقضها ويبطلها بفعله! فأين معنى «لا إله إلا الله» الذي قلته في عرفة ورفعت به صوتك؟ أما تتأمل؟! أما تتدبر؟!

كذلك من مظاهر العقيدة والتوحيد في الحج: حينما يطوف المسلمون بالبيت ويسعون بين الصفا والمروة فإنهم بذلك يتعلمون ويعلمون أنه لا يطاف بشيء في الأرض إلا بهذا البيت العتيق.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الحج: ٢٩]. فلا يطاف بالبنيات أو الأضرحة أو القبور أو بالمقامات، فإن هذا تشريع دين لم يأذن به الله - عز وجل -، إنما يطاف بالبيت العتيق فقط، لا يطاف بشيء على وجه الأرض إلا بهذا البيت العتيق، ولذلك يأتي له الحجاج من مشارق الأرض ومغاريها ليطوفوا بالبيت العتيق.

فلو كان الطواف مشروعاً في غيره لما كلف الناس بالسفر إلى هذا البيت ليطوفوا به، فدل على أن الطواف إنما هو بالبيت العتيق، ونحن حينما نطوف بالبيت العتيق فإننا لا نعبد البيت وإنما نعبد رب البيت، والبيت إنما هو مكان للطواف، وأما المقصود بالطواف فهو عبادة الله - عز وجل -، فنحن نعبد الله بالطواف ببيته العتيق. فليتذكر المسلم هذا ويتجنب ما أحدثه أهل الضلال وأهل الجهالة من الطواف بالقبور والأضرحة والأبنية وغير ذلك، فإن هذا دين باطل، وهو تشريع دين لم يأذن به الله - عز وجل -.

كذلك من مظاهر التوحيد والعقيدة في الحج: حينما يذبح الناس الهدي يقولون: «بسم الله، الله أكبر»، فيذبحونه على اسم الله - جل وعلا - ويكبرون الله - عز وجل -، فدل على أنه لا يذبح لغير الله، فلا يذبح للقبور، ولا للأولياء والصالحين، ولا للجن، وإنما يذبح لله وحده ذبح العبادة إنما يكون لله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. فقرن النحر والنسك، والنسيكة هي الذبيحة. في هاتين الآيتين قرنها مع الصلاة فكما أنه لا يصلي لغير الله - عز وجل - فإنه لا يذبح لغير الله، فالذين يذبحون للجن وللقبور والأضرحة والأولياء والصالحين يريدون منهم النفع ودفع الضر، وهذا فعل المشركين الأولين مع الأصنام، فإنهم كان يذبحون للأصنام ويهلون لغير الله - عز وجل -، والله - عز وجل - حرم علينا من الذبائح ما أُهلَّ به لغير الله، وهذه أهلٌ بها لغير الله، فيتذكر المسلم بهذه الأمور أن الحج مدرسة للتوحيد.

ثم بماذا تختتم الطواف؟ تأتي بعده بركتين تسميان ركعتي الطواف، تقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَتَّيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. وتقرأ في الثانية بعد الفاتحة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. وكلا السورتين في التوحيد، ﴿قُلْ يَتَّيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [١] في توحيد الألوهية، و﴿قُلْ يَتَّيُّهَا

الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ في توحيد الأسماء والصفات، فهاتان الركعتان تتعلم منهما التوحيد وإفراد الله بالعبادة.

وكذلك بقية أعمال الحج كرمي الجمار مثلاً هل المقصود رمي الحصى فقط؟ لا، المقصود طاعة الله - جل وعلا -، فأنت حينما ترمي الجمار ترميها طاعة لله وتوحيداً لله - جل وعلا -، ولهذا تكبر الله مع كل حصة فتقول: الله أكبر، فالرمي عبادة لله وتوحيد لله - عز وجل -.

إذاً كل أعمال الحج تُعَلِّمُ عقيدة التوحيد، كلها إيمان بالله - عز وجل -، وهي درس يتعلم منه المسلم عقيدته ودينه.

وبعد هذا، كيف يطوف المسلم بالبيت العتيق ثم إذا رجع طاف بالقبور؟! كيف صير البيت العتيق والقبور سواء؟!.

كيف يذبح الهدي لله يسمي عليه ويكبر الله عليه ثم إذا رجع إلى بلده يذبح لغير الله؟! يذبح للأضرحة وغيرها!!

كيف يتضرع إلى الله بالدعاء والإخلاص والتوحيد والتلبية في عرفة ومزدلفة ومنى في هذه الأيام ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. ثم إذا رجع إلى بلده صار يذكر غير الله؟! صار يذكر الأولياء والصالحين ويذكر الأضرحة وغير ذلك!! إذاً ماذا استفاد من الحج؟ ما استفاد شيئاً!

فعلى المسلمين أن ينتبهوا لهذا الأمر وأن لا يأخذهم التقليد الأعمى، وأن لا يغتروا بدعاة الضلال، وأن لا يغتروا بكثرة من وقع في هذه المخالفات، عليهم أن يخلصوا دينهم لله - عز وجل - وأن يكون الحج درساً لهم ومنطلقاً لهم إلى الإصلاح في بقية حياتهم، كما قال النبي ﷺ: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٢١)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

فالإنسان حينما ولدته أمه لم يكن عليه ذنوب، هو بريء، ثم بعدما كبر اكتسب الذنوب والمعاصي والسيئات، فإذا رجع إلى هذا البيت، الحج الذي شرعه الله لا الحج العادي التقليدي وإنما الحج الذي شرعه الله، إذا حج هذا البيت كما شرع الله - عز وجل - رجع مولوداً جديداً كيوم ولدته أمه ليس عليه ذنوب، فعليه أن يبقى على هذه التقاوة وهذا الطهارة التي اكتسبها من هذا الحج في عقيدته، في أخلاقه، في أعماله، في تصرفاته، يبقى على هذه الطهارة التي اكتسبها من هذا الحج. ويقول عليه الصلاة والسلام: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١)، الحج المبرور هو الذي أداه صاحبه على البر والإخلاص لله - عز وجل - والمتابعة لرسوله ﷺ هذا هو الحج المبرور: ما كان خالصاً لله وصواباً على سنة رسول الله ﷺ وأدى مناسكه على الوجه المطلوب.

هذا هو الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة، إن الدنيا كلها ليست جزاءً للحج المبرور، كل هذه الدنيا ليست جزاءً للحج المبرور وإنما جزاؤه الجنة، نسأل الله الكريم من فضله، وأن يجعلنا وإياكم ممن حج واعتمر ورجع كيوم ولدته أمه تائباً منياً مستغفراً متعلماً لعقيدته متفهماً لدينه، وأن يرجع أيضاً داعية إلى الله في بلاده محذراً لقومه إذا رجع إليهم لينشر الخير.

فهذا الحج يجمع المسلمين ليشهدوا منافع لهم ثم يرجعون إلى بلادهم بهذه المنافع وينشرونها على أهل بلادهم، فلو أن الحجاج ترسموا هذا العمل لأصلح الله - عز وجل - بهم الكثير من البلاد.

نسأل الله - عز وجل - أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وصواباً على سنة رسوله ﷺ، وأن يتقبل منا وأن يعفو عنا وأن لا يؤخذنا بتقصيرنا وإساءتنا، وأن يتوب علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩).

٢- درس في الأمر ببناء البيت

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝﴾ [الحج: ٢٦].

هذه الآية فيها بيان بناء إبراهيم عليه السلام للبيت بأمر الله - سبحانه وتعالى -، وذلك أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بعثه الله في أرض العراق في أهل بابل - جماعة النمرود - يدعوهم إلى الله - سبحانه -، وكانوا يعبدون الكواكب، يبنون لها هياكل في الأرض على صورة تماثيل ويعبدونها من دون الله - عز وجل -، فأنكر عليهم وكان من جملة من يصنع التماثيل أبوه. كان يصنعها ويبيعها فأنكر عليهم عبادة التماثيل وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له كما ذكر الله ذلك في القرآن.

ثم إنه لم يكتف بالإنكار بل كسر هذه التماثيل بيده وحطمها - عليه الصلاة والسلام -، فغاروا على تماثيلهم وأرادوا أن يتقموا منه فأوقدوا له ناراً عظيمة جمعوا لها الحطب وأوقدوها حتى صار لهبها يرتفع في الجو، ثم جاؤوا بإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ووضعوه في المنجنيق، والمنجنيق آلة مثل المدفع اليوم تقريباً.

ووضعوه في المنجنيق ثم قذفوه في النار، والله - جل وعلا - قال للنار: ﴿يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٩]. وانقلبت النار إلى روضة خضراء برداً وسلاماً وأنقذه الله من النار ورد كيد أعدائه، ثم اتجه إلى الهجرة ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ۝﴾ [الصافات: ٩٩].

وانتقل إلى أرض الشام، ووضع ذريته هناك في فلسطين، ثم أمره الله أن يضع بعض ذريته في مكة، فجاء بهاجر وإسماعيل ابنها وكان صغيراً جاء بهم ووضعهم

في مكة. وكانت في ذلك الوقت وادياً لا شيء فيه، وليس فيه سكان، وليس فيه ماء، وليس فيه طعام، فوضعها هي وابنها الصغير ترضعه في هذا الوادي. ثم إنه انصرف مولياً إلى أرض الشام فقامت إليه تقول له: إلى من تركنا هاهنا؟ ولا يجيبها ولا يلتفت إليها. وكان وضع عندها جراباً من التمر وسقاءً من الماء ثم تركها وولى. فقالت: إلى من تركنا في هذا الوادي؟ فلم يجيبها ثم كررت عليه فلم يجيبها. قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا. فاطمأنت لما علمت أن هذا بأمر الله - سبحانه وتعالى - وآمنت أن الله - جل وعلا - لا يضيعها هي وابنها.

ثم جعلت ترضع الطفل وتشرب من السقاء إلى أن نفذ ما معها ولم يبق معها شيء، والطفل عطش وصار يتلمظ من العطش وليس معها شيء. ذهبت إلى أقرب جبل يليها وهو الصفا فصعدت عليه تنظر لعل حولها أحد فلم تر أحداً ثم نزلت من الصفا وذهبت إلى الجبل الثاني المقابل له وهو المروة لأن الوادي بين جبلين، جبل الصفا وجبل المروة وصعدت على المروة وتلفتت يميناً وشمالاً لعلها ترى أحداً فلم تر أحداً، ثم نزلت وذهبت إلى الصفا إلى أن أكملت سبعة أشواط بين الصفا والمروة. وفي الشوط السابع لما صعدت المروة وتلفتت يميناً وشمالاً سمعت صوتاً، فقالت: أغث إن كنت مغيثاً، فإذا جبريل عليه السلام يبعث بجناحه عند مكان الكعبة في موضع زمزم فنبع ماء زمزم بركضة جبريل عليه السلام فجعلت تغرف من الماء وتسقي الطفل تحجر الماء لثلا يسبح فينما هي كذلك إذ ببادية مقبلة على طريقة البدو الذين يرحلون وينزلون، فأروا الطيور تدور على هذا المكان فقالوا: هذه الطيور تدور على ماء وليس عهدنا أن هذا المكان فيه ماء، فجأؤوا إلى المكان فوجدوا الماء ووجدوا المرأة ووجدوا طفلها فاستأذنوها أن ينزلوا في هذا المكان عند هذا الماء فقالت: نعم، لكن بشرط ألا يكون لكم في الماء حق، يعني ليس لكم ملكية في الماء، لكن تشربون منه فقبلوا على هذا الشرط ونزلوا فحصل عندها جيران وذهب عنها الخوف وأنت

بالجيران حولها.

ثم إن إسماعيل عليه السلام كبر وتزوج من هذه البادية - بادية جرهم - وإذ بإبراهيم عليه السلام يأتي مرة ثانية، ثم رجع لما اطمأن عليهم، ثم جاء المرة الثالثة وعند ذلك وجد إسماعيل عليه السلام جالساً عند شجرة فعرفه أي عرف أنه أبوه فقام إليه وسلم عليه واستقبله استقبال الابن لأبيه محتفياً به وعند ذلك قال إبراهيم لإسماعيل: إن الله أمرني أن أبني بيتاً هاهنا، وتساعدني. قال: نعم وأساعدك، فالله - جل وعلا - بين إبراهيم مكان البيت، وكان على أكمة مرتفعة في الوادي أراه الله مكانه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

واختلف العلماء هل كان البيت موجوداً من قبل ثم إنه انهدم وإبراهيم أعاده؟ أو أن بدايته من بناء إبراهيم عليه السلام على قولين. لكن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أنه كان موجوداً من قبل ولكن طمرته السيول واختفى البيت ثم إن الله - جل وعلا - بوأه لإبراهيم يعني: أظهره له وبينه. فقام إبراهيم عليه السلام ووضع القواعد التي هي الأساسات للبيت هو وإسماعيل، هو بيني وإسماعيل يناوله الحجارة، ووضع القواعد ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. فلما ارتفع البناء جاء بحجر وجعله عند جدار الكعبة وصار يرتفع عليه ثم يرتفع الحجر به إلى أن يساوي رأس الجدار ويضع الحجارة وإسماعيل يناوله. وهذا مقام إبراهيم، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه وقت بناء الكعبة، وكانت آثار قدمية باقية فيه إلى الآن.

وأمر الله بالصلاة عنده فقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. فأكمل بناء البيت على هذا النمط، فهذا هو معنى قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ دل على أن إسماعيل كان يساعده لبناء البيت، وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ دل على أن هذا

البيت بُني على التوحيد ولعبادة الله وحده لا شريك له. فيجب تطهيره من الشرك وألا يترك المشرك يقرب هذا البيت ولهذا قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

ونفذ ﷺ هذا الأمر فأرسل منادياً ينادي في السنة التاسعة من الهجرة ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

فقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِي﴾ دل على أن الشرك نجاسة معنوية يجب تطهير البيت منها وكذلك يجب تطهير البيت من النجاسة الحسية كالأبوال والنجاسات يجب أن يطهر هذا البيت وما حوله وأن يهياً بكل ما يليق به من التطهير والنظافة والنزاهة. والله - جل وعلا - يسخر لهذا البيت في كل وقت وفي كل جيل من يقوم على صيانه وتطهيره والمحافظة عليه وتهيته لعبادة الله - سبحانه وتعالى -.

وهذا من آيات الله - عز وجل - فهذا البيت مبني على التوحيد والإخلاص لله، وقوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ هذا يدل على أنه لا يجوز أن يشرك مع الله أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صالح من الصالحين ولا ولي من الأولياء ولا شجرة ولا حجر، وأن البيت يجب تطهيره من الشرك وأن يمنع المشركون من الوصول إليه ومن إظهار شركهم حوله؛ لأنه بيت الله - عز وجل - بني لعبادة الله وحده لا شريك له، ولهذا لما فتح النبي ﷺ مكة في السنة الثامنة من الهجرة كسر الأصنام التي على البيت وأحرقها وطهر البيت منها وهذا واجب المسلمين في كل مكان أن يطهروا هذا البيت ويصونوه ويحفظوه. لقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ لماذا بدأ بالطائفين قبل الركع السجود؟ لأن الطواف خاص بالبيت أما الركوع والسجود فتجوز في كل مكان، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]. ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠]. فالصلاة تصح في كل مكان من

المشارك والمغارب، أي عبد أدركته الصلاة فعنده مسجده يصلي، أما الطواف فإنه لا يجوز إلا بالكعبة، ولا يجوز الطواف بالقبور أو الطواف بالأضرحة أو الطواف بالمقامات إنما الطواف خاص بالكعبة المشرفة.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يعني: المصلين ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ عبر عن الصلاة بأركانها وهي: القيام والركوع والسجود، هذه أعظم أركان الصلاة القيام والركوع والسجود. وفي آية البقرة ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. والعاكفون هم الذين يقيمون في الحرم لعبادة الله وحده لا شريك له، فالله أمر أن يُبنى هذا البيت، وأن يُطهر من الشرك ومن عبادة غير الله، ويُطهر من البدع والمحدثات، وأن يطهر من النجاسات والقاذورات، وأن يهيا لعباد الله يطوفون حوله ويصلون عنده ويجلسون حوله عاكفين لطاعة الله - سبحانه وتعالى -، وهذا من فضل الله - عز وجل - على المسلمين، أن مَنْ عليهم بهذا البيت العتيق الذي جعله مثابة للناس وأمناً.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



٣- درس في فضائل البيت العتيق

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

لما فرغ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من بناء هذا البيت الذي أمره الله - جل وعلا - ببنائه، أخبر - سبحانه وتعالى - أنه جعل هذا البيت بيتاً مباركاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴿٣﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧]. فجعله الله مباركاً أنزل فيه البركة إلى يوم القيامة، ومن بركاته أنه جعله مثابة للناس وأمناً.

مثابة قيل معناه: أن من زاره حاجاً أو معتمراً أنه يرجع بالثواب العظيم، يعني: جعله محلاً لنيل الثواب من الله - جل وعلا -. وقيل مثابة: أي مرجعاً يرجع الناس إليه، كلما ذهبوا عادوا إليه يترددون عليه ولا يشبعون منه، فلا تجد أحداً من المسلمين حج هذا البيت أو اعتمر إلا وهو يحن له كل سنة وكل وقت، يود أن يرجع إليه، لأن الله - جل وعلا - جعل المحبة في القلوب. فقلوب المسلمين معلقة به ولا يشبعون منه.

وأماً: أنزل الله الأمن في رحابه من دخله كان آمناً، فجعل الله له حرماً من حوله يأمن من دخله، حتى الطيور تأمن فيه لا ينفر صيده وحتى الشجر والكلأ الذي ينبت فيه لا يكسر ولا يعضد يعني: لا يقطع. فإذا كان هذا في حق الجمادات والحيوانات أنها تأمن فبنوا آدم من باب أولى.

وكانوا في الجاهلية على شركهم وعلى كفرهم يعظمون البيت وهذا الحرم، فكان

أحدهم يلقي قاتل أبيه أو قاتل أخيه أو قريبه فلا يفكر في أن ينتقم منه، ولا يهجيه حتى يخرج من الحرم، لأن الله جعل من دخل هذا الحرم آمناً ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ﴿أُولَئِكَ تُمْكِنُ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [النقص: ٥٧]. وكذلك بركة هذا الحرم وهذا البيت، أن الله - سبحانه وتعالى - يجلب لأهله الرزق، مع أنه في مكان ليس في زراعة، ليس فيه إنتاج أغذية، ولكن الله - جل وعلا - يسر الأرزاق لمن كان عنده، وذلك لأن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - دعا لأهله حينما قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]. فالله - جل وعلا - أجاب دعوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، فمنح هذا البيت وما حوله الأمن ومنح أهله الرزق الذي يجلب إليهم من أقطار الأرض، فضلاً منه - سبحانه وتعالى -، حتى يطمثوا حول هذا البيت، وحتى يؤديوا عباداتهم وهم مطمئنون.

وأنتم ترون من فضل الله - عز وجل - اجتماع هذه الجموع الهائلة من البشر، وترون أن الرزق مبسوط عليهم، يجدونه أينما توجهوا من فضل الله سبحانه وتعالى، فيجدون الماء، يجدون الطعام، يجدون الأرزاق في كل مكان، من أرجاء هذا الحرم بما سخر الله - سبحانه وتعالى - ويسر من جلب هذه الأشياء فضلاً منه وإحساناً على خلقه، وترون الأمن على كثرة الناس واختلاف طبائعهم واختلاف أجناسهم، كلهم آمنون لا أحد يعتدي على أحد، وإن حصل شيء من الخيانة فهو قليل، وإذا حصل فإنه يحسم ويعاقب من أساء، لأن الله - جل وعلا - يمكن من المجرم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. فالله - جل وعلا - حمى هذا البيت، والمسلمون يؤدون مناسكهم حوله مطمئنين آمنين.

ومن فضائل هذا البيت، أن من حجه أو اعتمره ابتغاء وجه الله عز وجل، أن الله يغفر له ذنوبه ويرجع كيوم ولدته أمه، كما قال ﷺ: «من أتى هذا البيت فلم يرفث

ولم يفسق رجوع كيوم ولدته أمه»^(١)، يعني: مغفوراً له ذنوبه وخطاياها.
ومن فضائل هذا البيت، أن الله - سبحانه وتعالى - جعل له حرماً يحيط به من جميع النواحي.

وهذا الحرم له أحكام، بينها النبي ﷺ في أنه لا يجوز ابتداء القتال فيه إلا في حق من اعتدى على المسلمين فإنه يقاتل ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١].

والنبي ﷺ لما دخل مكة عام الفتح لباساً السلاح دخلها هو وأصحابه وفتحوها، قال ﷺ: «إن الله أباحها لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة»^(٢)، فهذا خاص برسول الله ﷺ فلا يجوز أن يبدأ القتال فيها، لكن من اعتدى على الناس فإنه يقاتل، وكذلك من ارتكب حداً من الحدود فيها فإنه يقام عليه الحد.

وكذلك من أحكام هذا الحرم أنه لا يعضد شجره أي: لا يقطع شجره الأخضر الذي ينبت فيه، ولا يختلى خلاه يعني: لا يؤخذ نباته البري الذي ينبت فيه، لكن لا مانع أن تترك البهائم ترعى فيه، إنما الممنوع أن بني آدم يأخذون الكلاً، كما يأخذونه من سائر الفلوات.

هذا الحرم لا يجوز لأحد أن يقطع شجره، ولا أن يأخذ من نباته البري، أما ما يزرعه الناس أو يغرسونه في مزارعهم أو في بيوتهم فلا بأس أن يأخذوه ويقطعوه، وأما الشيء الذي ينبت بغير زراعة بل ينبت من المطر، فهذا هو الذي له هذا الحكم الشرعي.

كذلك اللقطة: وهي المال الضائع الذي يوجد في الحرم، لا يجوز لأحد أن يأخذه إلا بشرط أن يبحث عن صاحبه ويعرفه، حتى يجد صاحبه، قال ﷺ: «ولا تحل لقطته إلا لمنشد»^(٣)، أي: لمن يعرفها وينادي عليها حتى يجد صاحبها.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٠٤، ١٨٣٢)، ومسلم برقم (١٣٥٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤٣٣)، ومسلم برقم (١٣٥٥).

ومن أعظم فضائل هذا الحرم أن الحسنات تضاعف فيه قال ﷺ: «صلاة في المسجد الحرام خير من مئة ألف صلاة فيما سواه»^(١)، لمن وفقه الله وأخلص النية لله - سبحانه وتعالى -، فإنه ينال هذا الثواب العظيم فتضاعف فيه الحسنات، وكذلك لا يجوز الاعتداء على أهل الحرم أو الإساءة إليهم أو مضايقتهم، قال تعالى: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَبُوكُمْ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. ومن سبق من الحجاج إلى منزل في الحرم؛ في منى أو عرفة أو في مزدلفة فهو أحق به، ولا يجوز لأحد أن يضايقه. قال ﷺ: «منى مناخ من سبق»^(٢)، فمن سبق إلى مكان ونزل فيه فهو أحق به حتى يرحل ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ فمن يرد أن يظلم الناس ويعتدي عليهم، حتى ولو كان ذلك بقلبه قبل أن يتفد بل مجرد أن ينوي ويعلم الله في قلبه هذه النية، والله لا يخفى عليه شيء، إذا نوى ذلك أو جاء من بلده ليفسد أو جاء من بلده ليسرق الحجيج، أو لينشل الحجيج، أو ليروع الحجيج، فإن الله له بالمرصاد ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ فعقوبة من يسيء في الحرم عقوبة مغلظة أكثر. فالسيئات لا تضاعف مثل الحسنات، لكن تغلظ عقوبتها تغليظاً لا يعلمه إلا الله.

فيجب احترام هذا الحرم الذي حرم الله - سبحانه وتعالى -، واحترام أهله، واحترام المسلمين فيه؛ لأنه مجمع المسلمين من أقطار الأرض، كلهم جاؤوا يريدون ثواب الله ورضوانه، فيجب أن يوفر لهم الأمن ويوفر لهم ما يريحهم، وتحرم أذيتهم أو الاعتداء عليهم بأي نوع من أنواع الاعتداء.

ومن فضائل الحرم أن الله جعل حجه فرضاً على المسلمين بأن يحج كل سنة، فحجه كل سنة فرض كفاية على عموم المسلمين لا بد أن يحجوه كل سنة، أما

(١) أخرجه أحمد برقم (١٤٦٩٤، ١٥٢٧١)، وابن ماجه برقم (١٤٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٨٨١)، وابن ماجه برقم (٣٠٠٦)، وأحمد برقم (٢٥٧١٨)، وأبو يعلى برقم (٤٥١٩).

بالنسبة للأفراد فالحج مرة واحدة في العمر على المستطيع ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. ولا يجوز لأحد أن يصد الناس عنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]. فلا يجوز أن يصد الناس عنه، بل يمكنون من حجه، ويسهل طريقهم إليه، إلا من أظهر عدوانه وأظهر شره، فإنه يمنع من الحج؛ كفاً لشره وعدوانه، وأما من جاء يريد وجه الله قاصداً وجه الله فالله - تعالى - قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَسْهُرَ الْحَرَامِ وَلَا أَهْدَى وَلَا أَقْلَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢].

هذه بعض فضائل البيت العتيق، الذي جعله الله قبلة للمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وفيه خيرات عظيمة وبركات كثيرة، لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى -.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



٤ - درس في تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ... الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ٢٨ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩ [الحج: ٢٧ - ٢٩].

أمر الله خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما فرغ من بناء البيت بأمر الله - سبحانه وتعالى -، أمره أن يُعلم الناس فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ والأذان معناه: الإعلام أي: أعلمهم بالحج ونادِ فيهم بشرعية الحج على جميع الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حَيْثُ أَصْطَفَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٥ [آل عمران: ٩٧].

والحج في اللغة: القصد والتردد على الشيء، والمراد به هنا: الإتيان لزيارة المسجد الحرام، والوقوف بالمشاعر، وأداء المناسك التي شرعها الله - سبحانه وتعالى -، فلما أمره الله بذلك قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال الله - جل وعلا - له: أذن وعلي البلاغ، فصعد إبراهيم على مرتفع قيل: على الصفا، وقيل: على غيره، وقال: أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فبلغ صوته أهل الأرض المشارق والمغارب حتى الأجنة في بطون الأمهات وحتى ما في أصلاب الرجال^(١).

(١) أخرجه الحاكم (٤٢١/٢)، والبيهقي (١٧٦/٥).

فكل من حج أو اعتمر هذا البيت إلى يوم القيامة فإنه مجيب لهذا النداء «لييك اللهم لييك، لييك لا شريك لك لييك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» فهذه التلبية إجابة لهذا النداء الذي نادى به إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ولهذا قال: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، ﴿يَأْتُوكَ﴾: جواب الأمر إذا أذنت للناس يأتوك ولذلك هو مجزوم، ﴿رِجَالًا﴾: أي ماشين، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أي راكبين، فيبادرون ويأتون مشاة وركبانا، والضامر: هي الناقة الهزيلة التي أهزلها طول السفر وطول المشي، كانوا في ذلك الوقت يركبون الإبل، فالحجاج يأتون راكبين وماشين على ما يسر الله لهم في كل وقت بحسبه، يركبون الإبل ويركبون السيارات ويركبون الطائرات ويركبون البواخر بما سخر الله لهم في البر والبحر وفي الجو، ولهذا تمتلئ الأجواء والبراري والبحار في أيام الحج من الوفود إلى بيت الله العتيق، وهذا من أكبر العبر والدلائل على قدرة الله - سبحانه وتعالى - .

ومن أكبر الدلائل على فضل هذا البيت الشريف الذي تهفوا إليه قلوب المؤمنين في كل مكان، ولا يشبعون منه ومن الإتيان إليه ﴿مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٤)، الفج: هو الطريق بين الجبال، ﴿عَمِيقٍ﴾^(٥) يعني: بعيداً في الأرض كما ترون الحجاج يأتون من أقصى الدنيا ومن أدناها، يأتون من المشرق والمغرب والشمال والجنوب، إجابة لهذا النداء الإلهي على لسان الخليل - عليه الصلاة والسلام -، باختلاف ألوانهم واختلاف لغاتهم واختلاف بلادهم، يأتون عن رغبة ومحبة وانقياد لا يأتون طمعاً في دنيا، ولا يأتون رضاً أو خوفاً للملك أو أمير أو رئيس، وإنما يأتون يحدوهم الإيمان القلبي؛ رغبة منهم وطواعية منهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٧) [الأنفال: ٦٢ - ٦٣]. فالذي ساق هؤلاء الحجاج من قريب ومن بعيد على اختلاف لغاتهم واختلاف ألوانهم واختلاف أجناسهم

وَأَلْفَ بَيْنَهُمْ هُوَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -، الذي أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، يَجْتَمِعُونَ فِي بَقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَزْدَحْمُونَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَا أَحَدٌ يَكْرَهُ أَحَدًا أَوْ أَحَدٌ يَضُرُّ أَحَدًا مَتَعَمِّدًا، بَلْ كُلُّهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ قُلُوبُهُمْ بِاللَّهِ - سبحانه وتعالى -، هَذَا مِنْ صِحَّةِ هَذَا الدِّينِ وَعَظَمَتِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - سبحانه وتعالى -.

وقيل: إِنْ الْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾، لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ اللَّهُ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، قَالَ رَجُلٌ: أَكُلَ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوَجِبَتْ وَمَا اسْتَطَعْتُمْ، الْحَجَّ مَرَّةً وَمَا زَادَ؛ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»^(١).
ثُمَّ قَالَ جُلٌّ وَعَلَا: ﴿لَيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، لَيَسْهَدُوا: أَيُّ: يَأْتُونَ؛ لَيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، يَعْنِي: يَحْضُرُوا، مَنَافِعَ كَثِيرَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، فِي هَذَا الْحَجِّ مَنَافِعٌ عَاجِلَةٌ وَمَنَافِعٌ آجِلَةٌ، لَا يَأْتُونَ عَبَثًا أَوْ يَأْتُونَ لِلزَّهْوَ وَالْفَرَجَةِ وَالْإِطْلَاعِ، وَإِنَّمَا يَأْتُونَ؛ لَيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، وَمَعْنَاهُ: يَحْضُرُوا الْمَنَافِعَ: جَمْعُ مَنَافِعٍ وَهِيَ ضِدُّ الْمَضَرَّةِ، مَنَافِعَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَفِي دُنْيَاهُمْ، وَهِيَ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ - سبحانه وتعالى -، وَكُلٌّ يُحْصَلُ مِنْ هَذِهِ الْمَنَافِعِ عَلَى مَا يَسِّرُ اللَّهُ لَهُ، مَقْلٌّ وَمُسْتَكْثَرٌ.

مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَافِعِ: آدَاءُ هَذَا الرُّكْنِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْحَجَّ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ، فَمَنْ أَعْظَمَ الْمَنَافِعَ أَنْ الْمُسْلِمَ يُؤَدِّي هَذَا الرُّكْنَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ حَجَّ، فَإِنَّهُ يَحْجُ نَافِلَةً هِيَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَمِنْ مَنَافِعِ الْحَجِّ: التَّقَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَتَعَارُفُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ مِمَّا يَقْوَى بِهِ دِينُهُمْ وَتَقْوَى بِهِ عَرَى الْإِسْلَامِ وَيُظْهِرُونَ بِالْمُظْهِرِ اللَّاتِقِ بِالْأَمَةِ فِي وَحْدَتِهَا، بِتَوَجُّهِ وَاحِدٍ إِلَى رَبِّ وَاحِدٍ، لِأَدَاءِ عِبَادَةٍ وَاحِدَةٍ وَفِي مَكَانٍ وَاحِدٍ فَفِيهِ تَرْبِيَةٌ لِلْأَمَةِ عَلَى الْاجْتِمَاعِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ، وَلِذَلِكَ شَرَعَ اللَّهُ الْاجْتِمَاعَاتِ؛ لِأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ لِتَرْبِيَةِ النَّاسِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّأَلُّفِ، يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (١٣٣٧)، عَدَا قَوْلَهُ: «الْحَجَّ مَرَّةً، وَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»، فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِرَقْمٍ (١٧٢١)، وَالنَّسَائِيُّ (١١١/٥) بِرَقْمٍ (٢٦٢٠)، وَابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمٍ (٢٨٨٦)، وَأَحْمَدُ بِرَقْمٍ (٢٣٠٤).

يجتمعون لصلاة الجمعة، يجتمعون لصلاة العيدين، يجتمعون للاجتماع الأكبر للحج كل سنة.

ومن فوائد الحج العظيمة: حصول المغفرة كمال قال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢)، يرجع مغفوراً له. هذا من أعظم المنافع في هذا الحج.

ومن منافع الحج: انتشار العلم بين المسلمين إذا التقى المسلمون في هذا المكان، الجاهل في عقيدته أو الجاهل في عبادته، أو الجاهل في معاملاته، يصحح أخطاءه، إذا التقى بالعلماء والتقى بإخوانه المسلمين وتبادلوا فيما بينهم المعلومات، فإنه يرجع بعلم ويرجع بفقه في دين الله، فإن هذا مما يؤدي إلى انتشار العلم بين المسلمين.

وكذلك قد يأتي الإنسان إلى هذا الحج وهو مقصر في أمور الدين، فيتوب إلى الله - عز وجل -، فيرجع وقد تاب وقد صار الدين أحب إليه من كل شيء، ويرسخ الإيمان في قلبه، فيعود بقلب غير القلب الذي جاء به، هذا من أعظم منافع الحج. وهذا البيت العتيق يربط بين المسلمين باجتماعهم حوله كل سنة، أو في العمرة على مدار السنة، ويقوي الصلة فيما بينهم، فهذا من أعظم منافع الحج.

كذلك من منافع هذا الحج العظيم: أن الإنسان يحصل على الأجر العظيم فزيادة على الحج، الصلاة الواحدة تعدل مئة ألف صلاة، وكم يصلي الحاج في هذا الحرم؟ يصلي صلوات كثيرة، وكل صلاة بمئة ألف صلاة، وكذلك بقية الحسنات في هذا الحرم تضاعف، والله - جل وعلا - قال لخليله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣)، يطوفون ويعتكفون حول هذا البيت ويركعون ويسجدون، فالمسلم يحصل على هذه

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

العبادات العظيمة: الطواف بالبيت، والاعتكاف في المسجد، وهو البقاء واللبث فيه مدة طويلة، أو قصيرة لعبادة الله، لبثهم في المسجد الحرام فيه أجر عظيم؛ لأنه اعتكاف العاكفين، ﴿وَالرُّكْعَ الشُّجُودَ﴾ المراد بهم: المصلون، وكل صلاة بمئة ألف صلاة، هذه أجور عظيمة يرجع بها المسلم زيادة في حسناته وزيادة في أعماله الصالحة، لا نتصور أن الحج مجرد رحلة أو مجرد اطلاع على البلاد، هذه نظرة الذين لا يعرفون دينهم، إنما تُعَبَّرُ هذا الحج من حين خروجك من بيتك إلى أن ترجع إليه وأنت في حسنات وتكفير سيئات، وفي عبادة، وفي طاعة الله - عز وجل -، فهذه أعظم نعمة ينعم الله بها على عبده.

ومن منافع الحج: ما يحصل به من النفقات العظيمة من صدقات، وإحسان وذبح للقرايين، وأكل لحومها والتزود منها، هذا من أعظم المنافع.

وأعظم المنافع على الإطلاق: ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ﴾ وهي: أيام الحج، الأيام المعدودات كلها شرع الله فيها، فيعلنون ذكر الله بالتلبية والتكبير وبالنداء والاستغفار ويأداء المناسك من وقوف بعرفة، ومبيت بمزدلفة، ومبيت بمنى، ورمي جمار، وطواف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة، كل هذه ذكْرُ الله - سبحانه وتعالى -، ذكر متنوع فهم دائماً في عبادة ويتنقلون في هذه المشاعر لعبادة الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾.

وبهيمة الأنعام هي: الإبل والبقر والغنم، يذكرون الله عليها عند ذبحها، ويتقربون إلى الله بذلك الهدى، سواء كان هدياً واجباً أو كان هدي تطوع أو هدي جبران، كله يذبح لوجه الله - عز وجل -، يتقرب به إلى الله ويتنفع به العباد.

هذا وتترك بقية الكلام على الآية إلى درس قادم إن شاء الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



٥ - درس في تنمة تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ... الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كنا في الدرس السابق مع قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴿[الحج: ٢٧ - ٢٨]﴾. ووقفنا عند هذا الحد. ﴿وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾. وذلك أن من جملة مناسك الحج ذبح الهدي للمتمتع والقارن وللمتطوع؛ لأنه قربة إلى الله وعبادة، والهدي سواء كان واجباً بالتمتع أو بالقران أو كان واجباً بالجبران عن ترك واجب أو فعل محظور أو كان تطوعاً فهو على أربعة أنواع:

النوع الأول: ما وجب للمتمتع والقران وهذا نسك من مناسك الحج.

الثاني: ما وجب جزاءً عن ترك واجب أو فعل محظور من محظورات الإحرام.

الثالث: ما وجب بالنذر.

الرابع: ما تطوع به الإنسان.

فأما النوع الأول: وهو ما وجب نسكاً من هدي التمتع والقران فهذا كما قال الله جل وعلا: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا﴾ ويذبح في الحرم، ويستحب أن يأكل منه صاحبه، وأن يطعم منه الفقراء والمساكين، فبعضه يأكله هو ومن أراد أن يأكل معه منه لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾. والبائس: هو من أصابه البؤس وهو الفقر، فالفقير تفسير للبائس سمي الفقر بؤساً؛ لأن صاحبه يتأثر به ويبأس،

والبؤس: ما يصيب الإنسان مما يؤثر في نفسه أو في بدنه. هذا في هدي التمتع وهدي القران السنة: أنه يأكل منه، ويهدي منه، ويتصدق منه، ويتوسع به. وبناءً على ذلك، فالأفضل أن يتولاه هو، وأن يذبحه هو ويوزع لحمه هو، وإذا شق ذلك عليه فله أن يوكل من يذبحه بدلاً عنه، كما أن النبي ﷺ وكل على بن أبي طالب رضي الله عنه في ذبح بقية بدنه التي أهداها^(١).

ومن ذلك ما أعدته الحكومة من هذه المسالخ، التي تستقبل هدايا الحجاج، تذبحها بدلاً عنهم للتوسعة عليهم فما على الحاج إلا أن يدفع النقود للمكتب المعتمد، والمكتب يدفعه للبنك الإسلامي، والبنك الإسلامي يحضر المواشي بأسماء أصحاب النقود الذين دفعوا ويذبح نيابة عنهم، ويوزع لحومها على الفقراء والمحتاجين، فهذا لا بأس به من باب المساعدة للحجاج والتوسعة عليهم.

وأما النوع الثاني: وهو ما وجب لفعل محظور من محظورات الإحرام أو لترك واجب من واجبات الحج؛ كترك طواف الوداع، أو ترك المبيت بمزدلفة، أو ترك المبيت بمنى، أو ترك رمي الجمار، فهذا لا يأكل منه صاحبه؛ لأنه كفارة، والكفارة يجب أن يخرجها كلها ولا يأكل منها شيئاً، ولا يأكل منها الأغنياء، وإنما يسلم لحمه للفقراء، ويشترط أن يكون ذبحه في الحرم، وأن يكون توزيعه على فقراء الحرم، الموجودين في الحرم، سواء كانوا من سكانه أو القادمين، كلهم يسمون فقراء الحرم، فيعطون لحم هذا الهدي الذي هو جزاء، لا يأكل صاحبه منه، ولا يأكل منه الغني وإنما هو خاص بالفقراء.

والنوع الثالث: وهو ما وجب بالنذر لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]. فالوفاء بالنذر إذا كان طاعة لله، كأن نذر أن يذبح في مكة تقرباً إلى الله - سبحانه وتعالى -، فإنه يلزمه أن ينفذ هذا النذر لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - في صفة حجة النبي ﷺ. بلفظ: «... ثم أعطى علياً فتحر ما غبر» أي: ما بقي.

فإذا كان طاعة

فإنه لا يكون قد نوى أن يأكل منه فله ما نوى،

فإنه لا يأكل منه فله ما نوى به كله للفقراء والمحتاجين.

ولما التزم الرابع: وهو ما تطوع به صاحبه، فإذا تطوع بالهدي فهذا له أن يأكل

منه ويتصدق.

ثم قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ التفث: معناه ما

يعلق ببदन المحرم من العرق والوسخ، فالمحرم إذا أكمل المناسك فإنه يتحلل من

إحرامه ويخلع ملابس الإحرام ويتنظف ويغتسل ويذهب ما أصابه من العرق والغبار

ويتنظف ويتطيب ويكرن على أحسن هيئة بعد إداء العبادة، وكذلك من قضاء التفث

إذا كانت معه زوجته فله أن يتمسك بها إذا أكمل المناسك الثلاثة، لأنه تحلل التحلل

الكامل. ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ هذا عام لأنواع نذر الطاعة، سواء نذر أن يضوم أو

نذر أن يتصدق، أو نذر أن يصلي، أو نذر أن يطوف بالبيت أو نذر أن ينبح هدياً

فإنه يلزمه أن يفي بنذره لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

ثم قال جل وعلا: ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا أمر بالطواف بالبيت

العتيق، والطواف بالبيت عبادة لله سبحانه وتعالى، سواء كان طواف حج أو طواف

عمرة أو طواف وداع أو طواف تطوع، فالطواف عبادة، وهو ركن من أركان الحج

وركن من أركان العمرة، وله أن يتطوع به في غير حج أو عمرة، وإذا نذر أن يطوف

فإنه يلزمه الطواف؛ لأنه نذر طاعة فيجب عليه.

إذا فالطواف يجب في أربع حالات:

الحالة الأولى: طواف العمرة.

فليطعه»^(١)، ولقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

ولقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]. الوفاء بالنذر إذا كان طاعة واجب، وهذا لا يأكل منه صاحبه، إلا أن يكون قد نوى أن يأكل منه فله ما نوى، وأما إذا لم ينو أن يأكل منه فإنه يتصدق به كله للفقراء والمحتاجين. وأما النوع الرابع: وهو ما تطوع به صاحبه، فإذا تطوع بالهدي فهذا له أن يأكل منه ويتصدق.

ثم قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ التفث: معناه ما يعلق بيدن المحرم من العرق والوسخ، فالمحرم إذا أكمل المناسك فإنه يتحلل من إحرامه ويخلع ملابس الإحرام ويتنظف ويغتسل ويذهب ما أصابه من العرق والغبار ويتنظف ويتطيب ويكون على أحسن هيئة بعد إداء العبادة، وكذلك من قضاء التفث إذا كانت معه زوجته فله أن يتمتع بها إذا أكمل المناسك الثلاثة، لأنه تحلل التحلل الكامل. ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ هذا عام لأنواع نذر الطاعة، سواء نذر أن يصوم أو نذر أن يتصدق، أو نذر أن يصلي، أو نذر أن يطوف بالبيت أو نذر أن يذبح هدياً فإنه يلزمه أن يفي بنذره لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

ثم قال جل وعلا: ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا أمر بالطواف بالبيت العتيق، والطواف بالبيت عبادة لله سبحانه وتعالى، سواء كان طواف حج أو طواف عمرة أو طواف وداع أو طواف تطوع، فالطواف عبادة، وهو ركن من أركان الحج وركن من أركان العمرة، وله أن يتطوع به في غير حج أو عمرة، وإذا نذر أن يطوف فإنه يلزمه الطواف؛ لأنه نذر نذر طاعة فيجب عليه.

إذا فالطواف يجب في أربع حالات:

الحالة الأولى: طواف العمرة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٩٦).

الحالة الثانية: طواف الحج .

الحالة الثالثة: طواف الوداع .

الحالة الرابعة: إذا نذره فإنه يجب عليه ، وماعدا هذه الأربع حالات فالطواف سنة يفعله متى شاء تطوعاً ويتقرب إلى الله به متى شاء ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ والطرواف بغير البيت لا يجوز ، كالطواف بالقبور والأضرحة ، هذا من دين الجاهلية ، ومن دين المشركين ، فلا يجوز الطواف بغير الكعبة ، وليس هناك شيء يطاف به غير الكعبة المشرفة ، فمن طاف على غير الكعبة فإنه قد فعل فعل الجاهلية ، وأتى بفعل المشركين ، تجب عليه التوبة إلى الله ، لأن الله قال : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ فخصص الطواف بالبيت العتيق ، وسُمي البيت عتيقاً قيل : لأن الله أعتقه من الجبابة ، فلا أحد يريده بسوء ، إلا ويحل الله به العقوبة ويحمي بيته منه ، كما حصل لأبرهة الحبشي ، لما أراد أن يهدم البيت ، وجاء بجيش عظيم لهدم الكعبة ، وقربوا من البيت ولم يبق إلا التنفيذ ، أنزل الله عليهم الطير الأبايل كما قال تعالى : ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿١﴾ تَرْمِيهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٢﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٣﴾﴾ [الفيل: ٣ - ٥] . وأعتق الله بيته منه ومن غيره من الجبابة ، فُسِّمِي عتيقاً ؛ لأن الله يعتقه عن أراده بسوء . وقيل سُمِّي العتيق : من العتاقة وهي القدم ؛ لأنه أقدم بيت على وجه الأرض . قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦] . فهو أول البيوت يعني : أول المساجد التي وضعت في الأرض ، وقيل سُمِّي العتيق بمعنى : الكريم . فهذا مدح لهذا البيت .

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٦- درس في فرضية أركان الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الحج فريضة وهو ركن من أركان الإسلام قال ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً»^(١)، هذه أركان الإسلام:

أولها الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله. الشهادة الأولى لله بالوحدانية تعني: إخلاص العبادات وجميع الدين لله واجتناب الشرك بجميع أنواعه، وشهادة أن محمداً رسول الله تعني الاعتراف برسالة محمد ﷺ، وتعني اتباعه والافتداء به، فهو المبلغ عن الله - سبحانه وتعالى -، وهو قدوة المسلمين وإمامهم، فلا يفعلون شيئاً إلا وقد فعله ﷺ أو أمر به أو أقر عليه من فعله، وما لم يكن من سنته ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً فإنه يجتنب وليس هو من دين الله، بل هو من دين الشياطين، وهو بدعة وكل بدعة ضلالة.

قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

وقال: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦ ١٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨ ١٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦).

وفي رواية «وكل ضلالة في النار»^(١).

الركن الثاني: إقام الصلاة فإذا تحقق وجود الركن الأول فإنه يأتي بالركن الثاني وهو إقام الصلاة، وهي خمس صلوات في اليوم واللييلة، فرضهن الله على العباد، وقد فرضت الصلاة قبل الهجرة في ليلة المعراج، لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماوات فرض الله عليه الصلوات الخمس، وصلى رسول الله ﷺ وصلى المسلمون معه بمكة قبل الهجرة. وكما في حديث معاذ لما بعثه ﷺ إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم واللييلة»^(٢)، فجاءت فرضية الصلاة بعد التوحيد، وجاءت فرضيتها من ناحية التوقيت الزمني قبل الهجرة.

وأما الزكاة والصيام والحج فقد فرضت هذه الأركان على النبي ﷺ بعد الهجرة.

ففرضت عليه الزكاة في السنة الثانية من الهجرة، قال الله جل وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠]. وهي قرينة الصلاة في كثير من الآيات.

وفرض عليه صيام رمضان أيضاً في السنة الثانية من الهجرة.

وأما الحج فقد تأخرت فرضيته إلى السنة التاسعة على المشهور، وقيل قبل ذلك، لكن الرسول ﷺ لم يحج إلا في السنة العاشرة؛ لأن المشركين كانوا يطوفون بالبيت وهم عراة، ويظنون أن هذا طاعة لله - سبحانه وتعالى - ويقولون: نحن لا نطوف

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقم (١٧١٤٤)، والطبراني في الكبير (٢٤٥/١٨، ٢٤٦) برقم (٦١٧، ٦١٨)، والحاكم (٩٦/١)، والبيهقي (١١٤/١٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٦٢٥).

بثياب عصينا الله فيها، زين لهم الشيطان هذا، فيطوفون وهم عراة، إلا من وجد من يعطيه ثوباً من أهل مكة، فإنه يطوف به، وإلا فإنه يتعري، فاحشتان عظيمتان: الشرك بالله - عز وجل -، وكشف العورات في المسجد الحرام، فلذلك لم يحج النبي ﷺ إلا متأخراً مع أن الله فرض عليه الحج.

وأرسل أبا بكر الصديق يحج بالناس نيابة عنه، وأرسل علي بن أبي طالب مع إبي بكر ينادي في الناس: «ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»^(١)، فلما طهر الله بيته وطهر المسجد الحرام من المشركين ومن العراة حج النبي ﷺ في السنة العاشرة حجة واحدة فإنه لم يحج بعد البعثة إلا هذه الحجة، وتسمى حجة الوداع، لأنه ودع الناس فيها وقال: «خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»^(٢)، وتوفي بعدها ﷺ، وأما العمرة فقد اعتمر أربع مرات بعد البعثة.

العمرة الأولى: اعتمر عمرة الحديبية، وصده المشركون فنحر هديه وحلق رأسه ورجع إلى المدينة.

العمرة الثانية: ثم اعتمر بعدها عمرة القضاء أو القضية التي قاضى عليها المشركين بأن يرجع ويعتمر من العام القادم.

العمرة الثالثة: اعتمر ﷺ لما قدم من حنين عام الفتح، ومر بالجعرانة على حدود الحرم، أحرم ﷺ بالعمرة وتسمى عمرة الجعرانة، وكانت في شوال.

العمرة الرابعة: العمرة التي قرننها مع حجته ﷺ، فإنه حج قارناً؛ لأنه ساق الهدي من المدينة، والذي يسوق الهدي من الحل يحرم قارناً أو مفرداً ولا يحرم متمتعاً. فهذه عمره ﷺ؛ ثنتان في ذي القعدة وواحدة في شوال، وواحدة في ذي الحجة.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

فهذه أركان الإسلام، وتاريخ فرضيتها على رسول الله ﷺ وآخرها الحج، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].
 ظاهر الآية أنه يجب على الناس حج البيت كل سنة على الأفراد، ولكن النبي ﷺ بين أن الحج مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً، قال ﷺ: «أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا»، قال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم، الحج مرة واحدة وما زاد فهو تطوع»، ثم قال ﷺ: «أدروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١).

فالحج مرة واحدة على المستطيع، والمستطيع هو الذي يجد الزاد الذي يتزود به في حجه ذهاباً وإياباً، ويجد ما يكفي لبيته وأهل بيته حتى يرجع إليهم، وأما الراحلة فالمراد بها المركوب، الذي ينقله إلى بيت الله، سواء من مسافة بعيدة أو مسافة قريبة، والمركوب يختلف باختلاف الأزمان، يكون من الأبل، ويكون من السيارات، ويكون من الطائرات، ويكون من البواخر، ويكون من وسائل النقل المختلفة، فإذا وجد الحاج ما يحمله إلى بيت الله، وتوفر له الزاد، فإنه يجب عليه الحج مرة واحدة، وهو فريضة الإسلام، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وما زاد على الواحدة فهو تطوع.

وإذا وجد المسلم المال الذي يكفي للنفقة والركوب، ولكنه لا يقدر على الحج ببذنه، فإن كان هذا المانع الذي يمنعه من مباشرة الحج ببذنه يرجى زواله، فإنه ينتظر إلى أن يقدر ثم يحج في المستقبل، كما أخرج النبي ﷺ الحج إلى السنة العاشرة للمانع، فكذلك من كان عنده مانع يمنعه من مباشرة الحج ببذنه، وهذا المانع يرجى أن يزول في المستقبل، فإنه ينتظر ثم يحج إذا تمكن، ومن ذلك المرأة التي لا تجد

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٣٧)، عدا قوله: «الحج مرة، وما زاد فهو تطوع»، فقد أخرجه أبو داود برقم (١٧٢١)، والنسائي (١١١/٥) برقم (٢٦٢٠)، وابن ماجه برقم (٢٨٨٦)، وأحمد برقم (٤-٢٣).

محرمًا بأن توفر عندها المال والقوة البدنية ولكنها لا تجد محرماً يصحبها في الحج، فإنها تنتظر إلى أن تجد المحرم ثم تحج لقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها ذو محرم»^(١).

فإذا كان المانع لا يرجى زواله، بأن يكون الإنسان شيخاً هرمًا لا يستطيع الركوب، أو كان مريضاً مرضاً مزمنًا لا يستطيع معه الركوب، أو المرأة أيست من وجود المحرم، فإن المسلم يوكل من يحج عنه فريضة الإسلام، ويكون الوكيل مسقطاً للفريضة عن الموكل.

وكذلك الميت إذا وجد قدرة على الحج مالياً لكنه مات قبل أن يحج، فإنه يُخْرَجُ من تركته ما يُحج به عنه فريضة الإسلام، مقدماً على الميراث؛ لأن هذا دينٌ لله - سبحانه وتعالى -، فيقدم على الميراث ويقدم على الوصية.

وما زاد عن المرة من حج أو عمرة فإنه تطوع، والباب مفتوح وكلما أكثر الإنسان من الحج والعمرة كان ذلك أكثر لأجره وثوابه عند الله.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٨٨)، ومسلم برقم (١٣٣٩ - ٤٢٠).

٧- درس في بيان أركان الحج وواجباته وسننه

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

عرفنا في الدرس السابق فرضية الحج وأنها نوعين:

فرضية على الأمة، وهذا في كل سنة، فلا بد أن يحج البيت ولا يبقى بعض السنين بدون حج.

وفرضية بالنسبة للأفراد، وهذا يجب مرة واحدة في العمر على المستطيع، بقي أن نعرف أعمال الحج، لأن أعمال الحج ليست على حد سواء، فمنها ما هو ركن من أركان الحج لا يصح الحج إلا به، ومنها ما يكون واجباً إذا ترك يجبره بفدية، ومنها ما هو مستحب لا يجب بتركه شيء وفعله فيه الثواب، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ومعنى أتموا أي: أكملوا أعمال الحج الأركان والواجبات وما استطاع من السنن المكملات، فالأركان أربعة:

الركن الأول: الإحرام وهو: نية الدخول في النسك، فإذا نوى الدخول وشرع في النسك فقد أحرم، بمعنى أنها تحرم عليه أشياء كانت مباحة له قبل الإحرام مثل: الطيب، وحلق الشعر، وقص الظافر، وقتل الصيد، والاستمتاع بزوجه، هذه أشياء كانت مباحة له، لكن إذا أحرم حرمت عليه حتى يحل من إحرامه، أما مجرد نية الحج أو نية العمرة وهو بين أهله، هذه نية عامة ليست إحراماً، لأنه لم ينو الدخول في النسك وإنما نوى النسك فقط.

الركن الثاني: الوقوف بعرفة لقوله ﷺ: «الحج عرفة»^(١).

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٩٤٩)، والترمذي برقم (٨٨٩)، والنسائي (٢٥٦/٥)، والبيهقي (١٥٢/٥)، والحاكم (٢٧٨/٢).

الركن الثالث: طواف الإفاضة قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. وهو الطواف الذي يأتي به بعدما يقف بعرفة ويبيت بمزدلفة، فيدخل وقت طواف الإفاضة بمنتصف الليل - ليلة العاشر - والأفضل يوم العيد.

الركن الرابع: السعي بين الصفا والمروة، هذه أركان الحج الأربعة، من ترك منها شيئاً بأن ترك الإحرام مثلاً لم ينعقد نسكه أصلاً، وأما من ترك الوقوف بعرفة، بأن فاتته الوقوف بعرفة فهذا يفوته الحج، فإذا طلع الفجر ليلة النحر، ولم يقف بعرفة في هذه الفترة ما بين زوال شمس اليوم التاسع إلى طلوع فجر ليلة العاشر، فإنه فاتته الحج، يتحلل من إحرامه بعمره ثم إذا جاء العام القادم يحج قضاءً للحج الذي فاتته ويذبح فدية.

أما إذا ترك طواف الإفاضة، أو ترك السعي، فإنه لا يتم حجه إلا بالإتيان بهذا الركن، فيأتي ويطوف في أي وقت، لأن حجه معلق على الإتيان بهذا الركن، فيبادر ويأتي ويطوف طواف الإفاضة، ولا يفوت وقته؛ لأن وقته ليس محدداً من جهة النهاية، وإنما هو محدد من جهة البداية فقط، وكذلك لو ترك السعي فإن حجه يبقى ناقصاً حتى يأتي ويسعى بنية سعي الحج، وإذا جامع زوجته في هذه الفترة التي آخر فيها طواف الإفاضة أو آخر سعي الحج، فإنه يذبح فدية وحجه صحيح.

أما واجبات الحج فهي سبعة:

الواجب الأول: الإحرام من الميقات المعتبر له، إن كان من أهل الشام أو مصر أو المغرب فيمقاته الجحفة، وإن كان من أهل المدينة فيمقاته ذو الحليفة، وإن كان من أهل اليمن فيمقاته يلملم، وإن كان من أهل نجد فيمقاته قرن المنازل وهو السيل (السيل الكبير)، وإن كان من أهل العراق والمشرق فيمقاته ذات عرق.

هذه المواقيت التي يحرم منها من أراد الحج أو العمرة، لا بد أن يحرم من الميقات الذي يمر عليه في طريقه سواء كان من أهل تلك الجهة أو من غيرها، إذا مر بالميقات، أي ميقات من المواقيت وهو يريد حجاً أو عمرة فإنه لا يجوز له أن يتعداه

إلا وهو محرم، فإن تعداه بدون إحرام وأحرم من دونه مما يلي مكة فيكون عليه فدية جزاء؛ لأنه ترك واجباً من واجبات الحج.

الواجب الثاني للحج: أن من وقف نهراً في عرفة فيجب عليه أن يستمر إلى غروب الشمس ولا يجوز له الدفع قبل غروب الشمس، لأن النبي ﷺ وقف بها إلى غروب الشمس واستحكم غروبها ثم دفع إلى مزدلفة، فلو انصرف قبل غروب الشمس وجب عليه الرجوع والبقاء فيها إلى أن تغرب الشمس فإن لم يفعل ولم يرجع فعليه فدية جبران؛ لأنه ترك واجباً من واجبات الحج.

الواجب الثالث: المبيت بمزدلفة بعدما يدفع من عرفة، لأن النبي ﷺ بات وقال: «خذوا عني مناسككم»^(١)، فببيت في مزدلفة كل الليل، هذا هو الأكمل والأحوط، فإن احتاج إلى الانصراف قبل الفجر لأنه ضعيف، أو معه ضعفاء يحتاجون إلى المبادرة فيجوز له الانصراف بعد منتصف الليل. وأما الأقوياء فإن الأحوط في حقهم والأفضل والأكمل أن يبقوا فيها كل الليل إلى أن يصلوا الفجر ويدعوا الله إلى أن يسفروا جداً ثم ينصرفوا إلى مزدلفة، كما فعل النبي ﷺ، فمن ترك المبيت بمزدلفة وهو يقدر عليه، فإنه يجبره بدم، لأنه ترك واجباً من واجبات الحج.

الواجب الرابع: المبيت بمنى ليالي أيام التشريق، الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر لمن تأخر، فإن المبيت بمنى في ليالي أيام التشريق واجب، لأن النبي ﷺ بات بها تلك الليالي وقال: «خذوا عني مناسككم»، ورخص للسقاة والرعاة بترك المبيت بمنى والرخصة لا تكون إلا من شيء واجب، فمن ترك المبيت بمنى ليالي أيام التشريق بغير عذر، وجب عليه فدية الجبران، وهي ذبح شاة يوزعها على فقراء الحرم، فإن لم يستطع فإنه يصوم عشرة أيام.

الخامس من واجبات الحج: رمي الجمار، جمرة العقبة يوم العيد، والجمار الثلاث في أيام التشريق بعد الزوال، ووقت رمي جمرة العقبة في كل اليوم ابتداءً من

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

منتصف الليل ليلة العاشر إلى غروب الشمس، أما الجمار الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى، فرمىها بعد الزوال في اليوم الحادي عشر والثاني عشر لمن تعجل، والثالث عشر لمن تأخر، ويستمر الرمي إلى الغروب وإن تأخر عن الغروب فلا بأس لوجود الزحامات الشديدة والخطر.

إلا يوم الثالث عشر، لا يؤخره بعد الغروب، لأن الحج قد انتهى، فمن ترك الرمي أو شيئاً منه فإنه يجب عليه فدية الجبران، ذبح شاة يوزعها على فقراء الحرم، ومن لم يستطع فيصوم عشرة أيام.

السادس من واجبات الحج: حلق الرأس أو تقصيره، فالرجل يحلق جميع الرأس أويقصر منه جميعه، والمرأة يجب عليها التقصير ولا يجوز لها الحلق.

السابع من واجبات الحج: طواف الوداع إذا فرغ من أعمال الحج وأراد السفر إلى بلده، فإنه لا يخرج حتى يطوف بالبيت سبعة أشواط (طواف الوداع)، هذه واجبات الحج.

أما سنن الحج فهي كثيرة، كالمجيء إلى منى والمبيت فيها ليلة التاسع والصلوات الخمس فيها، الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، هذا سنة من سنن الحج، من فعلها له أجر ومن تركها فلا حرج عليه.

كذلك من سنن الحج: التلبية للمحرم، فالمحرم يلبي ما دام محرماً «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك» ويكررها.

كذلك من سنن الحج: أن يبقى في منى أيام التشريق في النهار، يبقى الليل والنهار في منى، الليل واجب والنهار سنة.

ومن سنن الحج: الدعاء في عرفة.

ومن سنن الحج: الدعاء في مزدلفة، بعدما يصلي الفجر يقف ويدعو ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. فيقف ويدعو الله مستقبلاً القبلة، والدعاء في الطواف والسعي وعلى الصفا والمروة،

والتكبير عندما يحاذي الحجر الأسود، صلاة ركعتي الطواف، والتكبير عند رمي الجمار على كل حصاة يكبر يقول: الله أكبر ويرفع يده.

وسنن الحج قولية وفعلية، فعلى المسلم أن يعلم هذا، ويعلم أعمال الحج، وما هو منها ركن، وما هو منها واجب، وما هو منها سنة، ويعلم ما يجب على من ترك شيئاً من الأركان أو ترك شيئاً من الواجبات.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



٨- درس في بيان الركن الخامس

من أركان الإسلام: الحج

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كنا قد وصلنا إلى الركن الرابع من أركان الإسلام في حديث جبريل عليه السلام.

الركن الخامس وهو الأخير: الحج إلى بيت الله الحرام، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. لله على الناس يعني: حق لله على جميع الناس أن يحج من استطاع السبيل، وقد بين النبي ﷺ أن الحج الفريضة مرة واحدة في العمر، وما زاد عن الواحدة فهو تطوع، ولهذا لما قال ﷺ: «أبها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»، قالوا: أكل عام يا رسول الله؟ أو قال رجل من الحاضرين أكل عام يا رسول الله، فسكت النبي ﷺ ثم أعاد الرجل، فسكت النبي ﷺ ثم أعاد الرجل السؤال، فسكت النبي ﷺ ولم يجبه، ثم قال ﷺ: «الحج مرة واحدة فما زاد فهو تطوع، ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١).

وأما السبيل: في قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقد جاء تفسيره أن المراد به: الزاد والراحلة، إذا توفر للإنسان النفقة التي ينفقها على نفسه في الحج ذهاباً وإياباً، وتوفر النفقة التي لأهل بيته حتى يرجع إليهم، وتوفر له المركوب الذي ينقله إلى بيت الله، من وسائل النقل في كل وقت بحسبه، إذا توفر له هذان الأمران، توفر له النفقة وتوفر له المركوب المناسب، وجب عليه الحج. وهو ركن

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٣٧)، عدا قوله: «الحج مرة، وما زاد فهو تطوع»، فقد أخرجه أبو داود برقم (١٧٢١)، والنسائي (١١١/٥) برقم (٢٦٢٠)، وابن ماجه برقم (٢٨٨٦)، وأحمد برقم (٢٣٠٤).

من أركان الإسلام، ومن لم يستطع فليس عليه حج، من لم يستطع النفقة ليس عليه حج أو استطاع النفقة ولكنه لا يتمكن من المباشرة بنفسه، كأن يكون كبيراً هرمًا لا يستطيع السفر، أو مريضاً مرضاً مزمنًا لا يستطيع السفر للحج لا حاضراً ولا مستقبلاً، فإنه ينيب من يحج عنه ويدفع له نفقة الحج، أو يتبرع أحد أن يحج عنه بدون شيء. فينيب من يحج عنه إذا كان قادراً على النفقة، عاجزاً عن مباشرة الحج ببذنه، فإنه ينيب من يحج عنه، فإن مات ولم يحج، وعنده قدرة فإنه يخرج من تركته قدر ما يحج به عنه، لأن هذا دين في ذمته لله - عز وجل -، فيسد من تركته، فإن لم يكن له تركة وقد وجب عليه الحج ولكنه مات ولم يحج، استحب لأقاربه أو لأحد إخوانه من المسلمين أن يحج عنه، لأن هذا من التعاون على البر والتقوى، ومن إبراء ذمة المسلم.

الحاصل أن الحج فريضة على المسلم المستطيع هذا بالنسبة للأفراد، أما بالنسبة للأمة فإنه يجب الحج كل سنة لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ هذا فرض كفاية على عموم المسلمين، فلا يترك الحج في بعض السنين، لا بد أن يحج البيت في كل سنة على الأمة جميعاً فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ولا يجوز للأمة أن تترك الحج في بعض السنوات من غير عذر، لا يجوز للأمة الإسلامية أن تترك الحج في بعض السنوات من غير عذر يمنعها من ذلك.

هذا هو الكلام المجمع في شرعية الحج إلى بيت الله الحرام، وأما التفاصيل فإنها مفصلة في كتب المناسك المختصرة والمطولة، فعلى المسلم إذا أراد الحج أو في أثناء الحج، أن يأخذ مؤلفاً مختصراً ويقرؤه، أو إن كان لا يقرأ يُقرأ عليه، أو يستمع لما يذاع وما ينشر عن الحج، فيتمشى على ذلك ليؤدي حجه على بينة وعلى هدى من الله - عز وجل -، ليس المقصود من الحج أنك تحج شكلياً ولكن المقصود أن تحج حجاً صحيحاً، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]. ولا تستطيع أن تتم الحج والعمرة لله إلا إذا تفقّهت في أحكامهما، وفي قوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾

إشارة إلى الإخلاص لله في كل الأعمال، لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه وصواباً على سنة رسوله ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم»^(١)، وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. فيجب على المسلمين أن يحجوا على وفق سنة الرسول ﷺ لا يكون في الحج شرك ولا رياء ولا سمعة، ولا طلب لدنيا، ولا يكون الحج على طريقة مبتدعة أو على تقليد أعمى بدون بصيرة وبدون موافقة لسنة الرسول ﷺ مع الإخلاص لله بهذا يكون الحج مبروراً، قال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٢)، والحج المبرور هو الذي لم يحصل فيه رفث ولا فسوق ولا جدال، كما قال تعالى: ﴿فَمَن قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال ﷺ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٣)، يعني: يتوب الله عليه، إذا كان حجه لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال، والرفث: هو الجماع ودواعيه، والفسوق: هو المعاصي بجميع أنواعها، والجدال: هو المخاصمة بدون فائدة والممارات والمجادلة التي ليس فيها فائدة، أما الجدال من العلماء الذين يبينون الحق ويردون الباطل فهو واجب، قال تعالى: ﴿وَجِدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿وَلَا تَجِدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. فإذا كان الجدال لأجل بيان الحق ودحض الباطل وكان ذلك من العلماء فهو واجب، وأما إذا كان من أجل ضياع الوقت أو من أجل المغالبة والممارات فإنه ممنوع دائماً وفي الحج أكد، وهذا يؤثر على الحج إذا كان بغير حق، فالواجب على المسلم أن يحفظ حجه مما يخل به أو ينقصه أو يبطله وأن يحفظ حجه ويؤديه على الوجه الكامل مع رجاء القبول من الله - عز وجل - .

وصلّى الله وسلّم على نبيّا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٥٢١)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

٩- درس في فضل الحج والعمرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

صح في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١)، ففي هذا الحديث بيان فضل الحج، وفضل العمرة، أن العمرة إلى العمرة تكفران ما بينهما من الذنوب، وأما الحج فإنه ليس له جزاء إلا الجنة إضافة إلى ما جاء في الحديث الآخر: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢).

فالحج يجتمع فيه هاتان الفضيلتان :

أولاً: أنه ليس له جزاء إلا الجنة.

ثانياً: أن صاحبه تكفر عنه خطاياہ ويرجع مغفوراً له ليس عليه ذنب كيوم ولدته أمه، لأنه يولد وليس عليه ذنوب وإنما تلحقه الذنوب بعد التكليف، فإذا وفقه الله وحج ولم يرفث في حجه ولم يفسق؛ فإنه يغفر له جميع الذنوب ويرجع كيوم ولدته أمه، فهذا حديث عظيم يبين فضل العمرة وفضل الحج وأن الحج أفضل من العمرة، والعمرة تكفر ما يقع بعدها من الذنوب إلى العمرة الأخرى، وهذا فيه الحث على متابعة العمرة والإكثار منها، فإنها تكفر الذنوب، والمراد الذنوب الصغائر بدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وبدليل قوله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

إذا اجتنبت الكبائر»^(١)، فالكبائر لا تكفر إلا بالتوبة، وأما الصغائر من الذنوب فإنها تكفر بالأعمال الصالحة كالعمرة والصلوات الخمس والجمعة ورمضان والحج، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. وقال النبي ﷺ: «وأُتبع السيئة الحسنة تمحها»^(٢)، فالأعمال الصالحة يكفر الله بها السيئات الصغائر وأما الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة بنص القرآن ونص السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ والحج المبرور اختلف العلماء في تفسيره، فمنهم من فسره بقوله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق»^(٣)، فالحج المبرور هو الذي يسلم صاحبه من الذنوب في أثناء الحج، فلا يحصل منه سيئات في أثناء الحج، بل تكون أعماله أثناء الحج أعمالاً صالحة فإن عمله يسمى مبروراً، من البر وهو: الطاعة والصدق، وقيل الحج المبرور هو الذي يؤدي كاملاً بأركانه وواجباته وسننه فلا ينقص منه شيء، بل يوفيه صاحبه كما قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فالحج المبرور هو التام الذي لا ينقص منه شيء. وقيل الحج المبرور: هو الذي يرجع صاحبه منه أحسن حالاً مما كان قبله، فيرجع وقد استقام على الطاعة، وقد اهتدى إلى الصواب وأثر فيه الحج تأثيراً حسناً فتغير سلوكه، فرجع من الحج تائباً إلى الله معتدلاً أحسن من حاله قبل أن يحج، هذه علامة الحج المبرور.

وعلى كل حال الحج المبرور هو الذي يتقبله الله - سبحانه وتعالى - بأن يكون خالصاً لوجهه، وصواباً على سنة رسول الله ﷺ هذا هو الحج المبرور وثوابه الجنة، ليس له جزاء إلا الجنة. والجنة هي أعلى المطالب، ليس هناك شيء أحسن من الجنة، إلا النظر إلى وجه الله، فالجنة فيها السرور والنعيم، وفيها الدوام والخلود، فالجنة

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، وأحمد برقم (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٥٣٦)، والحاكم (٥٤/١)، والدارمي (٣٢٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

هي أعلى المطلوبات فمن أعطاه الله الجنة فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، فإذا كان حجه مبروراً أعطاه الله الجنة.

وهذا مما يؤكد على العبد أن يحرص على حجه وأن يتقنه من المؤثرات والمخالفات، وأن يستفيد منه ويرجع إلى بلده وهو مستقيم على طاعة الله - عز وجل -، تائب إلى الله - عز وجل - . والجنة فضل من الله - جل وعلا - لا تدرك بالأعمال، وأما الأعمال سبب لدخولها لا موجبة لدخولها كما قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»^(١)، فالمسلم إذا عمل السبب وأطاع الله ورسوله فإن الله قد وعده بالجنة، والله - جل وعلا - لا يخلف وعده، يعطيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فالواجب على المسلم أن يصلح أعماله، ويتقنها ويؤديها على الوجه المشروع، وأن يحافظ عليها من الأشياء التي تؤثر فيها أو تبطلها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]. فإن بعض الناس أو كثيراً من الناس قد يعمل أعمالاً صالحة، ولكن يسلط عليها ما يفسدها ويبطلها أو ينقصها، وأعظم ما يبطل الأعمال الشرك بالله - عز وجل -، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فمن دعا غير الله، أو ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو استغاث بالأموات، أو لجأ إلى القبور لتفريج الكربات وإزالة الشدائد، فإنه مشرك بالله الشرك الأكبر، وليس له حج ولا صلاة ولا عمل حتى يتوب إلى الله - سبحانه وتعالى - ويخلص الطاعة لله - عز وجل -.

وكذلك مما يفسد العمل المنُّ به والإعجاب به، بأن الإنسان قد يعجب بعمله ويعجب بنفسه ويتكبر على الله ويتمنن على الله بأنه عمل كذا، وأنه عمل كذا، قال

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦).

الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فالذي يُمن بعمله ويعجب به فهذا سبب لبطلان عمله، والذي يرى نفسه مقصراً في حق الله - عز وجل -، فإن الله يقبل منه لأن هذه صفة المتقين، والله - جل وعلا - يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٢٧١]. أولئك يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَاقُونَ [المؤمنون: ٦٠ - ٦١]. يؤتون ما آتوا من الأعمال الصالحة وقلوبه وجلة خائفة من الله، لا يقولون نحن عملنا وعملنا ما علينا خوف، الإنسان لا يأمن على نفسه بل يعتبر نفسه مقصراً في حق الله ولا يدري هل تقبل منه أم لا؟ لأن الله - جل وعلا - يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فالمسلم يعتبر نفسه مقصراً مهما عمل من الأعمال، وإذا اعتبر نفسه مقصراً بعثه ذلك على التزود من العمل، أما إذا اعتبر نفسه قد أتم العمل وأنه قد استكمل الطاعة، فإن هذا مما يحمله على الكسل والاتكالية وترك التزود من الأعمال الصالحة.

فيجب علينا أن نستشعر هذا الشعور وأن نجعل حجنا بالمتزلة التي ذكرها الرسول ﷺ في هذا الحديث: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١).

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم لصالح الأعمال وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص لوجهه وأن يجعلنا ممن تقبل حجهم وشكر سعيهم وغفر ذنبهم إنه قريب مجيب.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩).